

« دُرَّةٌ نَفِيسَةٌ »

« قَالَ الْإِمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَنَا الرُّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ ،  
فَأَمَّا التَّشْدِيدُ فَيُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ ! »

[ المجموع شرح المهذب للإمام النووي ( ١ : ٧٦ ) ( ط . زكريا على يوسف ) ]

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْعَلَةٌ  
إِلَّا الْحَدِيثَ وَالْأَفْقَهَ فِي الدِّينِ  
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ : قَالَ حَدَّثَنَا  
وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَى الشَّيَاطِينِ !

[ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ]

« المقدمة وترجمة المؤلف »

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَعْفِرُهُ ، وَنَسْتَهْدِيهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ ، فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .  
 أَمَّا بَعْدُ :

يتكرَّرُ علينا في كُلِّ عامٍ — وفي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ بِالذَّاتِ — الْخِلَافُ فِي حُكْمِ إِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ ، وهل يجوز دفع القيمة أم لا بَدَّ من دَفْعِ الْحَبُوبِ ، وَالطَّعَامِ ، أو غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ ؟ وَالْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ جَدِيدَةً مُسْتَجِدَّةً ، فَقَدْ أَشْبَعَهَا الْفُقَهَاءُ جُمًّا فِي مَطَوَّلَاتِهِمْ ، وَلِكُلِّ دَلِيلٍ يَسْتَشْهَدُ بِهِ ، وَحُجَّةٌ يَحْتَجُّ بِهَا ، مَعَ احْتِرَامِ رَأْيِ الْآخَرِ ، وَوَجْهَةٌ نَظَرُهُ . وَمَا عَلِمْنَا — مِنْ قَبْلِ — أَنَّ الْمَسْأَلَةَ أَدَّتْ إِلَى مَعَارِكٍ ، وَمَهَاتَرَاتٍ ، وَخُطَبِ رَنَائَةِ ، وَمَسَاجِلَاتِ طَنَانَةٍ !

وَأَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَا أَضِيقُ ذَرْعًا بِالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ ، أَوْ النِّقَاشِ الْمُفِيدِ ، مَعَ مُرَاعَاةِ أَدَبِ الْخِلَافِ وَالِاخْتِلَافِ ، وَالْحَرَصِ عَلَى الْأُخُوَّةِ وَالْأَلْفَةِ وَالْمُوَدَّةِ ، وَلِكُنِّي لَا أَتَحَمَّلُ بَعْضَ الَّذِينَ يَفْتَحُونَ كِتَابًا أَوْ كِتَابَيْنِ ، أَوْ يَسْمَعُونَ فَتْوَى مِنْ إِذَاعَةٍ ، أَوْ يَقْرَؤُونَهَا فِي جَرِيدَةٍ ، ثُمَّ يُرَدِّدُونَهَا كَالْبِغْيَاءِ ، دُونَ بَحْثٍ وَلَا تَمْحِصِ ، وَلَا مَرَاجَعَةٍ ، وَلَا تَفْحِصِ ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا حَقَّ غَيْرَهُ ، وَالصَّوَابُ الَّذِي لَا صَوَابَ سِوَاهُ !! وَلَوْ تَوَاضَعُوا قَلِيلًا وَقَالُوا : رَأَيْنَا صَوَابًا يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ ، وَرَأَيْنَا غَيْرِنَا خَطَأً يَحْتَمِلُ الصَّوَابَ — كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — لَزَالَ الْإِشْكَالُ ، وَارْتَفَعَ الْقَيْلُ وَالْقَالَ !

هذا مع العلم بأنَّ من أوَّلياتِ شروطِ البحثِ ، أن يُلَمَّ الباحثُ بموضوعه إمامًا ، وأن يُشبع المسألة تَتَبُّعًا واستقصاءً ، ثُمَّ يُقارَنُ ويوازنُ ، وَيُرَجِّحُ وَيُصَحِّحُ وَيُضَعِّفُ . أما مجرد النقل عن فلان وعلان ، فإنه لا يُعني من الحقِّ شيئًا .

وخيرُ مَنْ رَأَيْتُ طَبَّقَ هذا المنهج في مَسْأَلَةِ زَكَاةِ الْفِطْرِ ودَفَعَ قيمتها<sup>(١)</sup> هو مؤلف هذه الرسالة شيخُ شيوخنا خاتمةَ الحُفَاظِ العَلَّامَةُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ الصَّدِّيقِ العُمَارِيِّ الحَسَنِيِّ رحمه الله تعالى ، وقد أتى فيها بالعَجَبِ العُجَابِ ، واستقصى فيها الأحاديث والآثار ، استقصاءً لم يُسَبَقْ — فيما أعلمُ — إليه ، ولا تُقَدَّمُ أحدٌ في هذا الباب عليه . وَضَمَّنَهُ من التحقيقات النفسية ، والقواعد والضوابط الفقهية ، والاستنباطات اللطيفة ، ما يَنبَدُرُ وجوده في غيره .

ولَمَّا كَانَ الكتابُ قد عَزَّ وجوده ، وغاب عن الأنظار شهوده<sup>(٢)</sup> ، استعنتُ بالله تعالى في إخراجه وطبعه ، مع إضافاتٍ في التحقيق والعزْوِ ، وتعليقاتٍ يسيرةٍ ، دون تطويل مُمِلٍّ ، ولا تقصيرٍ مُخَلٍّ ؛ لكن لا تخلو بإذن الله تعالى من فائدة ، وتقييد شاردة أو واردة !

وَأَحْسَبُ أَنَّ المُنْصِيفَ — من الناس — لا يَسَعُهُ بعد الاطلاع عليه ،

(١) سَمِعْتُ شيخنا القرضاوي حفظه الله يقول :

ماذا يقول المانعون في بلد كمصر الآن فيها أكثر من ٥٠ مليون نسمة ؟ هل يُخرج كل هؤلاء طعامًا ؟؟ كم كيلو جرام من الحبوب أو غير ذلك من سائر المطعومات سنحتاج لسد الحاجة ؟؟ وهل هذا معقول ؟ ( هذا معنى كلامه في أمسية له بقاعة جمعية الإصلاح — البحرين )

وراجع كتابه الفذُّ النفيس : فقه الزكاة ( ٢ : ٩١٥ — ٩٦٠ ) ( ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ١٣٩٣ هـ )

(٢) طبع مرَّةً واحدةً — فيما أعلم — بالمطبعة المهدية ، بتطوان المغرب ، سنة ١٣٦٢ هـ ، على نفقة المؤلف رحمه الله ، وتكرم بإرسال نسخة مصورة منه إليه الحاج الأخ مصطفى البقالي الحسني ، من ملازمي شيخنا عبد الله بن الصديق ، فجزاه الله عني وعن العلم وأهله خير الجزاء .

إلا الإذعان لِحُجَجِهِ ، والتسليم لِأَدِلَّتِهِ وَدُرَرِ لُجَجِهِ !

ومع ذلك : أَدْعُو إِخْوَانِي طَلَبَةَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَشُيُوخِي الْعُلَمَاءِ الْأَفْضَلِ ، أَلَّا يَبْخُلُوا عَلَيْنَا بِتَوْجِيهَاتِهِمْ وَتَعْلِيْقَاتِهِمْ وَتَسْجِدَاتِهِمْ ، فَالْكَمَالُ لِلَّهِ وَخَدَهُ ، وَالْعَصْمَةُ لِمَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، وَأَمَّا الْبِشْرُ فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا رَادٌّ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ ، وَكُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ ، كَمَا قَالَ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَإِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدِّ الْخَلَلَا جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا !

وَأَرْجُو مِنْهُمْ أَنْ لَا يَنْسُونِي فِي دَعْوَةٍ صَالِحَةٍ بظَهَرَ الْغَيْبِ أَذْخَرَهَا لِيَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لِمَوْلَفِي ، وَكَاتِبِهِ ، وَقَارِئِهِ ، وَالسَّاعِي فِي طَبْعِهِ وَنَشْرِهِ ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ رَبِّي لَا رَبَّ سِوَاهُ ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

كتبه

خويدم العلم

نظام بن محمد صالح يعقوبي

خطيب جامع العدلية بدولة البحرين

ص ب ١٥٢٢

المنامة — البحرين

حُرِّرَ يَوْمَ السَّبْتِ ١٨ شَعْبَانَ ١٤٠٩ هـ

ترجمة

الحافظ أبي الفيض ، أحمد بن محمد

ابن الصديق الغماري<sup>(١)</sup>

( ١٣٢٠ - ١٣٨٠ هـ )

[ مقتبسة من مقدمة كتاب الهداية في تخرّيج أحاديث البداية ] .

للمؤلف بتحقيق يوسف المرعشلي وعدنان علي شلاق ( ح ١ : ٤٧ - ٦٢ ) .

( دار عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ )

اسمه ونسبه :

( السيد أحمد بن محمد بن محمد بن الصديق بن أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن عبد المؤمن ) الإمام الحافظ المحدث الناقد ، نادرة العصر وفريد الدهر ، ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة شهاب الدين أبو الفيض وأبو الخير الحسيني الإدريسي المغربي الطنجي الغماري .

ينتهي نسبه إلى مولانا إدريس الأكبر فاتح المغرب بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

ونسبه من جهة أمه ينتهي أيضاً إلى مولانا إدريس الأكبر فهي حفيدة الإمام المفسر العارف بالله سيدي أحمد بن عجيبة الحسيني المتوفي سنة ١٢٢٤ هـ .

(١) اقتبسنا الترجمة من كتاب « تشييف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع » لأبي سليمان ، محمود سعيد ابن محمد ممدوح الشافعي ص : ٧١ - ٧٨ بتصرّف .

وصاحب الترجمة ذكر نسبه وتراجم كثير من آبائه في « التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق »<sup>(١)</sup> المطبوع وكذا في « البحر العميق في مرويات ابن الصديق » و « المؤذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المؤمن » و « سبحة العقيق » .

### مولده ونشأته :

ولد صاحب الترجمة بقبيلة بني سعيد وهي قرية من قبيلة غمارة وذلك في يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٢٠ هـ ، وبعد شهرين من ولادته رجع به والده إلى طنجة وعندما بلغ الخامسة من عمره أدخله والده المكتب لحفظ القرآن الكريم على تلميذه سيدي العربي بن أحمد بودرة .

### طلبه للعلم :

وبعد أن أكمل حفظ القرآن الكريم وجوّده ، حَفِظَ « الأجرومية » و « المرشد المعين » و « بلوغ المرام » و « السنوسية » و « ألفية ابن مالك » و « الجوهرة » و « البيقونية » و « مختصر خليل » وغير ذلك .

ثم اشتغل بالدرس فحضر دروسَ شيخه بودرة في النحو والصرف ، والفقه المالكي ، والتوحيد ، ودروسَ والده في الجامع الكبير في النحو ، والفقه ، والحديث وكان والده رحمه الله تعالى معتنياً به أشد الاعتناء ، ويذاكره في شتى الفنون ، ويحثّه على الطلب والتعب في التحصيل ، ويذكر له تراجم العلماء ليتخلّق بأخلاقهم ، ويسعى مسعاهم . وقرأ أيضاً على الفقيه أحمد بن عبد السلام العبادي .

(١) هو والد المترجم وكان مجتمعا للفضائل بلغ الذروة في العلم والعمل توفي سنة ١٣٥٤ هـ وترك أولادا علماء هم شامة في جبين الدهر المترجم أكبرهم ثم سيدي العلامة المحدث الأصولي شيخنا عبد الله بن الصديق ثم العلامة السيد محمد الزمزمي ثم العلامة الأصولي المحقق السيد شيخنا عبد الحى ثم العلامة المحدث المفيد شيخنا السيد عبد العزيز ثم العلامة الأديب السيد الحسن ثم العلامة المشارك السيد إبراهيم نفع الله المسلمين بعلومهم .

ولما أمر والده الإخوان المتجردين بالزاوية الصديقية أن يحفظوا القرآن الكريم ، كتب كتاباً في فضل القرآن الكريم وحفظه وتلاوته سماه « رياض التنزيه في نضل القرآن وحامله » وهو أول ما صنف وكان دون العشرين .

وأثناء ذلك حبب الله تعالى إليه الحديث الشريف فأقبل على قراءته خاصة الأجزاء الحديثية وكتب التخريج والرجال .

### رحلته في طلب العلم :

وفي سنة ١٣٣٩ هـ وصل للقاهرة للدراسة على علماء الأزهر المعمور حسب توجيهات والده .

قرأ في القاهرة على شيوخ أجلاء ، منهم الشيخ محمد إمام بن إبراهيم السقا الشافعي ، قرأ عليه « الأجرومية » بشرح الكفراوي و « ابن عقيل » و « الأشموني على الألفية » و « السلم » بشرح الباجوري و « جوهرة التوحيد » و « شرح التحرير » لشيخ الإسلام في الفقه الشافعي ، وسمع عليه « مسند الشافعي » و « ثلاثيات البخاري » ، و « الأدب المفرد » له و « مسلسل عاشوراء » بشرطه والمسلسل بالأولية وغير ذلك وكان يتعجب من ذكائه وسرعة فهمه وشدة حرصه على التعليم ويقول له :

« لا بد وأن يكون والدك رجلاً صالحاً للغاية ، وهذه بركته فإن الطلبة لا يصلون إلى حضور « الأشموني بحاشية الصبان » إلا بعد طلب النحو ست سنين وقراءة « الأجرومية » و « القطر » وغيرهما ، وأنت ارتقيت إليه في مدة ثلاثة أشهر » ، وكان يذيع هذا بين العلماء .

وكان أحياناً يقول له لما يرى حرصه على قراءة الكتب التي تدرس في أقرب وقت : « أنت تريد أن تشرب العلم » .

شيوخه :

ومن مشايخه بمصر أيضًا شيخ الشافعية محمد بن سالم الشرقاوي الشهير بالنجدي ت ( ١٣٥٠ هـ ) قرأ عليه « مشكاة المصابيح » و « الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع » وغير ذلك .

ومنهم محمد السمالوطي المالكي قرأ عليه « التهذيب » في المنطق و « تفسير البيضاوي » و « موطأ مالك » .

ومنهم شيخ المالكية أحمد بن نصر العدوي ، قرأ عليه « صحيح مسلم » بشرح النووي وأوائل « سنن أبي داود » .

ومنهم الشيخ عبد المقصود عبد الخالق قرأ عليه « مختصر خليل » .

ومنهم شيخ علماء الدنيا مفتي الديار المصرية ومفخرتها الشيخ محمد بخت المطيعي حضر دروسه في « شرح الأسنوي على المنهاج » في الأصول و « شرح الهداية » في الفقه الحنفي و « صحيح البخاري » كما لازم دروسه في التفسير .

وله مشايخ آخرون بمصر في القراءة : منهم الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي .

والشيخ محمود خطاب السبكي المالكي .

والشيخ محمد شاكر المالكي .

والشيخ ياسين الجندي .

والشيخ حسن حجازي .

والشيخ عمر حمدان المحرسي التونسي<sup>(١)</sup> قرأ عليه وقت قدومه للقاهرة في

(١) وانتفع المترجم به كثيرًا وذكر له يومًا أنه لا يقبل على الفروع بغير معرفة أدلتها وكتب المالكية خالية =

« صحيح البخاري » ، و « الأذكار » للنووي ، و « عقود الجمان » في البلاغة ، وغير ذلك .

وله مشايخ في سماع الحديث والإجازة ، من أجلهم السيد المحدث محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة ( ١٣٤٥ هـ ) .

والسيد محمد بن إدريس القادري شارح « الترمذي » المتوفى سنة ( ١٣٥٠ هـ ) .

وشيخ الجماعة السيد أحمد بن الخياط الزكاري المتوفى سنة ( ١٣٤٣ هـ ) .

ومسند عصره المحقق السيد أحمد رافع الطهطاوي الحنفي المتوفى سنة ( ١٣٥٥ هـ ) .

وشيخ علماء الشام بدر الدين البيباني المتوفى سنة ( ١٣٥٤ هـ ) .

وصاحب التصانيف العديدة الشيخ عبد المجيد الشرنوبلي الأزهري المتوفى سنة ( ١٣٤٥ هـ ) وغيرهم مما هو مذكور في فهرسه المتعددة .

= من ذلك وقال له : إذا أردت ذلك فعليك بقراءة كتب الشافعية فإنها حتى الصغير منها تعرض لدليل كل مسألة ، وأقربها وأصغرها « شرح التحرير » لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري فمجرد ما سمع ذلك منه اشتري الكتاب في الحال وذهب إلى شيخه السقا الشافعي فطلب منه أن يقرأه معه ، فلما وجد فيه ما يحب ، انتقل إلى مذهب الشافعي ، وصار يحضر في الأزهر « شرح المنهج » لزكريا الأنصاري أيضاً بحاشية البجيرمي على الشيخ محمد البحري « وشرح الخطيب على متن أبي شجاع » على شيخ الشافعية الشيخ محمد ابن سالم الشرقاوي المعروف بالنجدي ، ثم في تلك المدة طبع « شرح المذهب » للنووي فاعتنى به ، وأقبل بكليته عليه وحفظ « متن الزيد » لابن رسلان في الفقه الشافعي ، وطالع شَرْحَهُ للفشني ، والرمل . ولما علم والده بانتقاله إلى مذهب الشافعي فرح له كثيراً وحثه على الاعتناء به وأثنى له عليه من جهة اعتناء أهله بالدليل وأمره مع ذلك أن لا يقطع صلته بمذهب مالك وأثنى عليه أيضاً من جهة كونه مذهب أهل المدينة ، ورغبه في الاشتغال ببقية المذاهب حضوراً ومطالعة . انتهى ( من البحر العميق للمترجم )

### وفاة والدته :

وفي أثناء وجوده بالقاهرة رجع للمغرب بسبب وفاة والدته التي توفيت شهيدة بجمع رحمها الله تعالى .

### انقطاعه للعلم والتأليف :

وبعد عودته للقاهرة واصل الدراسة بالأزهر ثم أقبل على مطالعة كتب الأصول وحده ثم انقطع في منزله لمطالعة الحديث واعتنى به حفظاً ، وتخريجاً ، ونسخاً ، ومكث في منزله سنتين لا يخرج إلا للصلوات ، ولا ينام الليل حتى يصلي الضحى ، وشرع أثناء ذلك في كتابة تخريجه الموسع على « مسند الشهاب » الذي سماه « فتح الوهاب » وقد وقع في مجلدين .

### رحلته للشام :

واستمر على هذا الحال إلى أن قدم والده لحضور مؤتمر الخلافة سنة ١٣٤٤ هـ فشد الرحلة مع أبيه لدمشق لزيارة سيدي محمد بن جعفر الكتاني ثم رجعا إلى المغرب .

### عودته للمغرب :

بقي المترجم بالمغرب حوالى أربع سنوات أقبل فيها على الاشتغال بالحديث حفظاً ومطالعة ، وتصنيفاً ، وتدريساً ، فدرّس « نيل الأوطار » و « الشمائل المحمدية » .

وأثناء ذلك كتب شرحاً كبيراً على رسالة ابن أبي زيد القيرواني لم يصنف مثله يذكر لكل مسألة أدلتها من الكتاب والسنة سماه « تخريج الدلائل لما في رسالة القيرواني من الفروع والمسائل » كتب منه مجلداً ضخماً إلى كتاب النكاح ثم عدل عن التطويل فكتب كتاباً مختصراً سماه « مسالك الدلالة على متن الرسالة » تم في مجلد وهو أيضاً لم يصنف مثله .

### رجوعه للقاهرة :

ثم رجع للقاهرة سنة ١٣٤٩ هـ وصحب أخويه شيخنا علامة العصر سيدي عبد الله ، والسيد الزمزمي للدراسة بالقاهرة وأثناء وجوده بالقاهرة هذه المرة كتب عدّة من المصنّفات التي تعرب عن تمكنه وبراعته بل واجتهاده في الحديث وأنه لا يوجد له نظير .

وتردد عليه علماء الأزهر للزيارة والاستفادة من علومه رغم صغر سنه وطلب جماعة منهم أن يقرأ معهم « فتح الباري » سردًا ويشرح لهم مقدمة « ابن الصلاح » ففعل وجلس للإملاء بمسجد الحسين ، ومسجد الكخيا ، وأتى بسيرة الحفاظ النقاد . وكان العلماء والطلاب يتعجبون من حفظه وفهمه واحتاج إليه مشايخه ، كالشيخ بنحيت ، واللبان ، والخضر حسين ، وعبد المعطي السقا ، والسيد أحمد رافع الطهطاوي ، وعمر حمدان ، ويوسف الدجوي وغيرهم وأخباره مع مشايخه المذكورين سطرًا في « البحر العميق في مرويات ابن الصديق » .

### وفاة والده وعودته للمغرب :

وفي سنة ١٣٥٤ هـ رجع إلى المغرب بسبب وفاة والده رحمه الله تعالى فاستلم الزاوية وقام بالخلافة عن والده واعتنى بتدريس كتب السنّة المطهرة فدرّس الكتب السنّة عدة مرات مع عديد من كتب المصطلح وسُمِعَ عليه بعضًا من كتب التخرّيج ، والأجزاء ، والمشايخات ، والمسلسلات ، وأملى مجالس حديثية بالجامع الكبير بطنجة ، فكان يملئ أكثر من خمسين حديثًا في المرة الواحدة بأسانيدھا من حفظه بلا تلثم حتى إذا فرغ منها رجع للأول فتكلم على سنده وغريبه وفقهه ثم الثاني وهكذا وإذا تكلم على رجال الحديث كأنهم نصب عينيه فله بهم خبرة تامة جرحهم وتعديهم وطبقاتهم .

حث الناس على العمل بالسنة الشريفة وترك ما خالف الدليل ونبذ التقليد

المخالف للسنة وله في ذلك مصنفات وقد أثرت دعوته للعمل بالسنة الشريفة على عديد من بلاد المغرب غير طنجة فتبعه غالب أهالي تطوان ، وسلا ، والقصر الكبير ، وغمارة .

وكان يحارب السفور والمدارس العصرية والتشبه بالكفار وله في ذلك جزء سماه « الاستنفار لغزو التشبه بالكفار » .

وكان لا يرى النظر في الجرائد ويغض الوظائف الحكومية .

### جهاده :

ولم يكن صاحب الترجمة من الذين قصرُوا أنفسهم على العلم فقط بل حارب الاستعمار وسعى في إخراجه من المغرب وقام بثورتين ضد الكفار الأسيان ، الأولى سنة ( ١٣٥٥ هـ ) والثانية سنة ( ١٣٦٩ هـ ) وانتهت بالحكم عليه بالسجن مدة ثلاث سنوات ونصف . ثم حددت إقامته في طنجة بعد خروجه كما قام بالاحتجاج على فرنسا بسبب أعمالها في الدار البيضاء ، وتفصيل تاريخه السياسي تجده في « البحر العميق » .

### عودته للقاهرة :

وبعد خروجه من المعتقل أحاطت به فتن الاستعمار ومحاولة إيدائه من الاستعمار تارة ومن الحزبيين تارة أخرى ، ففضل أن يغادر المغرب فوصل القاهرة في ربيع النبوي سنة ١٣٧٧ هـ فاستقبل بكل إجلال واحترام واشتغل بالتصنيف .

### رحلته للحجاز والشام والسودان :

ثم دخل الحجاز حاجًا ومعمترًا مرتين ودخل دمشق وحلب وحصل عليه فيهما إقبال عظيم مشهور واحتفل به العلماء وأكرموه كثيرًا واستقبل عند دخوله هذه البلاد من بعد مائة كيلو متر واستجازه جميع العلماء ثم بعد زيارته للشام دخل السودان وحصل له الإقبال .

## مرضه ووفاته بالقاهرة

وبعد رجوعه مرض مرضاً شديداً . وفي يوم الأحد غرة جمادى الثانية سنة ( ١٣٨٠ هـ ) انتقل إلى رحمة الله تعالى ودفن بالقاهرة بمقابر الخفير رحمه الله تعالى وأثابه رضاه .

## رثاؤه :

وقد عم الحزن عليه في المغرب عامة وفي طنجة خاصة ورثاه جماعة من العلماء منهم الطالب محمد بوخبزة التطواني قال فيها :

ما زلتَ بدمراً تضيء الكون مزدهراً	في اللحد نورك ينسيني سنا المرج
كملت فضلاً ونقص المرء مفترض	فكان في العمر مجلى النقص والعرج
لو كنت تفدى فدتك النفس يا سند	الإسلام يا طيب الأنفاس والأرج
قد كان نعيك مأساة الأنام فهل من	مسلم غير محزون ومتزعج

إلى أن قال :

مَنْ لِلْفَرَايِدِ يَزْجِيهَا وَيَعْرِضُهَا	لِلْمُسْتَفِيدِ بِفِكْرِ غَاصٍ فِي الْحَجَجِ
مَنْ لِلْأَحَادِيثِ يَمِيلُهَا وَيُوسِعُهَا	بِحُجَّتٍ وَنَقْدًا بِقَوْلِ سَاطِعِ الْحَجَجِ
مَنْ لِلشَّرِيعَةِ يَبْدِي مِنْ مَحَاسِنِهَا	مَا يَجْلِبُ اللَّبَّ مِنْ غَاوٍ وَمُنْتَهَجِ

## مكانته العلمية :

كان المترجم الحافظ السيد أحمد بن الصديق تذكرة لابن الصلاح ، والنووي ، وابن ناصر الدين ، والعسقلاني ، والسخاوي في عصر بعد الناس فيه عن الحديث ومعرفة مسائله والبحث عن درره ، نظر في الرجال والطبقات وعرف العالي والنازل والصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه فهو عجيب في استحضاره للمتون واستخراجه للحجج ، عرف فنون الحديث حق المعرفة حتى صار مجتهداً مطلقاً فيها وإذا قلت إنه لم يأت بعد الحافظ السخاوي والحافظ السيوطي مثله في معرفة

فتون الحديث وتميز الصحيح من السقيم أكون قد قلت الحق إن شاء الله تعالى وطالع كتبه وخاصة الأجزاء الحديثية تستفيد ، وتر فيها الفوائد ، وسعة الاطلاع ، والتمكّن في الصناعة ، وليس الخبر كالمعاينة لكن كانت له حدة تعتريه عند الكتابة رحمه الله تعالى وغفر لنا وله .

نصر السنة المحمدية ، وشجاعته اشتهرت بين الخاص والعام ، ولا يستطيع مداراة خصومه . عليه نضرة أهل الحديث رضي الله عنهم وكرمه مشهور .

اشتغل بالتصنيف طوال حياته فلم ينقطع عنه حتى عندما دخل السجن في أزمو كتب عدة من الكتب منها « البحر العميق » و « المغير على الأحاديث الموضوعية في الجامع الصغير » و « جؤنة العطار » وغيرها .

#### مؤلفاته<sup>(١)</sup> :

بلغت مصنفاته أكثر من (٢٠٠) مصنف أكثرها في الحديث الذي كان يمشي فيه على طريقة الحفاظ الأوليين ولا يقلد أحدًا ومصنفاته شاهدة على إمامته ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- ١ — إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون — طبع بدمشق .
- ٢ — الإستعاذة والحسيلة ممن صحح حديث البسملة — طبع بمصر .
- ٣ — إرشاد المربعين إلى طرق حديث الأربعين — طبع بمصر .
- ٤ — إزالة الخطر عمن جمع بين الصلاتين في الحضر — طبع بمصر .
- ٥ — إحياء المقبور بأدلة بناء المساجد والقباب على القبور — طبع بمصر .

(١) مقتبسة من مقدمة الأستاذ أحمد محمد مرسي في كتاب « البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية » ص : ١١٨ — ١١٢ . وقد ذكر الأستاذ محمود سعيد ممدوح في كتابه « تشنيف الأسماع » أن مؤلفاته تنوف على (٢٥٠) كتاباً .

محمود سعيد ممدوح ، مقدمة سبل الهدى للمؤلف ، ص : ٧ .

- ٦ — إقامة الدليل على حرمة التمثيل — طبع بمصر .
- ٧ — الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد .
- ٨ — الإفضال والمنة بروية النساء لله في الجنة .
- ٩ — إياك من الاعتزاز بحديث اعمل لدينك .
- ١٠ — الإسهاب في الاستخراج على مسند الشهاب — مجلدان ضخمان .
- ١١ — اختصار مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا .
- ١٢ — الأخبار المسطورة في القراءة في الصلاة ببعض السورة .
- ١٣ — الاستفاضة بحديث وضوء المستحاضة ، وقد ذكره المؤلف في الحديث (١٣٢) من هذا الكتاب . [ أي الهداية في تخريج البداية ] .
- ١٤ — الأربعون المتتالية بالأسانيد العالية في مجلد .
- ١٥ — الإشراف بتخريج الأربعين المسلسلة بالإشراف .
- ١٦ — إظهار ما كان خفيًا من بطلان حديث : « لو كان العلم بالثريا » .
- ١٧ — الأمالي المستظرفة على الرسالة المستظرفة في أسماء كتب السنة المشرفة .
- ١٨ — الاستثناس بتراجم فضلاء فاس وهو اختصار سلوة الأنفاس مع الذيل عليها .
- ١٩ — الإلمام بطرق المتواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام تم منه مجلد .
- ٢٠ — الأمالي الحسينية .
- ٢١ — الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة .
- ٢٢ — الاتساء بإثبات نبوة النساء .
- ٢٣ — إسعاف الملحين ببيان حال حديث : « إذا ألف القلب الإعراض عن الله ابتلي بالوقعة في الصالحين » .
- ٢٤ — الإجازة للتكبيرات السبع على الجنازة .

- ٢٥ — اغتنام الأجر في تصحيح حديث « أسفروا بالفجر » .
- ٢٦ — إيضاح المريب من تعليق إعلام الأريب .
- ٢٧ — البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي — في مجلد .
- ٢٨ — بيان الحكم المشروع في أن الركعة لا تدرك بالركوع — في مجلد .
- ٢٩ — البحر العميق في فهرست ابن الصديق — جزآن .
- ٣٠ — بيان تلبيس المفتري محمد زاهر الكوثري تمت مقدمته في مجلد .
- ٣١ — بيان غربة الدين بواسطة العصرين المفسدين .
- ٣٢ — البيان والتفصيل لوصل ما في الموطأ من البلاغات والمراسيل .
- ٣٣ — بذل المهجة منظومة تائية في ستائة بيت في التاريخ .
- ٣٤ — تحقيق الآمال في إخراج زكاة الفطر بالمال — طبع بتطوان [ وهو كتابنا هذا ] .
- ٣٥ — تحسين الفعال بالصلاة في النعال — طبع بمصر .
- ٣٦ — تشنيف الأذان باستحباب السيادة في اسمه ﷺ في الأذان — طبع بمصر .
- ٣٧ — التصور والتصديق بأخبار الشيخ محمد بن الصديق — طبع بمصر .
- ٣٨ — توجيه الأنظار لتوحيد العالم الإسلامي في الصوم والإفطار — طبع بمصر .
- ٣٩ — تبين البله ممن أنكروا حديث ومن لغا فلا جمعة له .
- ٤٠ — تعريف المطمئن بوضع حديث : « دعوه يحن » .
- ٤١ — تعريف الساهي اللاه بتواتر حديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » .
- ٤٢ — تخرج الدلائل لما في رسالة القيرواني من الفروع والمسائل — تم منه جزآن .
- ٤٣ — تحفة الأشراف بإجازة الحبيب السقاف .

- ٤٤ — تبين المبدأ في طرق حديث : « بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ » .
- ٤٥ — تحسين الخبر الوارد في الجهاد الأكبر .
- ٤٦ — التعريف لما أتى به حامد الفقي في تصحيح الطبقتين خاصة من التصحيح ، يعني طبقات الحنابلة وذيلها .
- ٤٧ — جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادير الأخبار . تم منه مجلدان وبعض الثالث .
- ٤٨ — جهد الإيمان بطرق حديث الإيمان .
- ٤٩ — جمع الطرق والوجوه لحديث : « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » .
- ٥٠ — الجواب المفيد للسائل المستفيد .
- ٥١ — الحنين بوضع حديث الأنين .
- ٥٢ — حصول التفریح بأصول العزو والتخریج .
- ٥٣ — درء الضعف عن حديث : « من عشق فغف » .
- ٥٤ — دفع الرجز بطرق حديث : « أكرموا الخبز » .
- ٥٥ — رفع شأن المنتصف السالك وقطع لسان المتعصب المهالك في سنية القبض في الصلاة عند مالك . طبع بمصر .
- ٥٦ — رياض النزبه في فضل القرآن وفضل حامله — في مجلد .
- ٥٧ — الرغائب في طرق حديث : « ليلغ الشاهد منكم الغائب » .
- ٥٨ — رفع المنار لحديث : « من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار » .
- ٥٩ — رفض اللَّيِّ بتواتر حديث : « من كذب عليَّ » .
- ٦٠ — الزواجر المُقلِّقة لمنكر التداوي بالصدقة .
- ٦١ — زجر من يؤمن بطرق حديث : « لا يزني الزاني وهو مؤمن » .
- ٦٢ — سبل الهدى في إبطال حديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً » . طبع بتطوان وبمصر .

- ٦٣ — سبحة العقيق في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن الصديق . في مجلد ضخم .
- ٦٤ — شوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة — طبع بمصر .
- ٦٥ — شهود العيان بثبوت حديث « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » .
- ٦٦ — شمعة العنبر بيدعة أذان الجمعة على المنارة وعند المنبر .
- ٦٧ — شرف الإيوان في حديث : « الممسوخ من الحيوان » .
- ٦٨ — الصواعق المنزلة على من صحح حديث البسملة وهو رد على رسالة الرحمة المرسله .
- ٦٩ — صفع التياه بإبطال حديث : « ليس بخيركم من ترك دنياه » .
- ٧٠ — صلة الوعاة بالمرويات والرواة — تم منه مجلد كبير .
- ٧١ — صرف النظر عن حديث : « ثلاث يجلين البصر » .
- ٧٢ — صدق اللهجة .
- ٧٣ — طباق الحال الحاضرة لخير سيد الدنيا والآخرة — طبع بمصر .
- ٧٤ — الطرق المفصلة لحديث أنس في البسملة .
- ٧٥ — طرفة المنتقى للأحاديث المرفوعة من زهد البيهقي .
- ٧٦ — عواطف اللطائف بتخريج أحاديث عوارف المعارف — في مجلد .
- ٧٧ — العتب الاعلاني لموثق صالح الفلاني .
- ٧٨ — العقد الثمين في حديث : « إن الله يبغض الخبير السمين » .
- ٧٩ — غنية العارف بتخريج أحاديث عوارف المعارف وهو اختصار عواطف اللطائف .
- ٨٠ — فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي — طبع بمصر .
- ٨١ — فصل القضاء في تقديم ركعتي الفجر على صلاة الصبح عند القضاء طبع تباعاً في جريدة بتطوان .